دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الخصوبة والاحصاء الاجتماعي: دراسة في المؤشرات واساليب القياس
المؤلف الرئيسي:	عمران، هاني
مؤلفين آخرين:	الاخرس، محمد صفوح، رمضان، محمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1983
موقع:	دمشق
الصفحات:	1 - 456
رقم MD:	572005
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة دمشق
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	سوريا
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الخصوبة الانسانية، الاحصاء الاجتماعي، القياس الاجتماعي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/572005

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

جامعة دمشق
كلية الآداب
قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية
شعبة علم الاجتماع

الخصوبة والاحصاء الاجتماعي

دراسة في المؤشرات واساليب القياس

رسالة لنيل درجة ماجستير الآداب في علم الاجتماع

إعداد

هـــاني عمران

بإشـــراف

د. محمد صفوح الاخرس
أســـتاذ علم الاجتمـــاع
في كليـــــة الآداب
بجامعة دمشق

د. محمـد رمضـان
أســـتاذ الاحصـــاء
في كلية الاقتصاد والتجارة
بجامعة دمشق

١٤ رجـــب ١٤٠٢ هـ
٢٦ نيســان ١٩٨٢ م

إهـــداءٌ

إلى أهلي الأكارم الذينَ أبتوا في روعي حقيقة أنَّ العلمَ
قيمةٌ قصوى في الحياة والذين أستمدُّ من عطفهم
وحُبّهم ما يقوّي الهمّة ويشحذُ العزيمة على
صُروف الزمان وحَرَج المكان .

إلى الدكتور محمّد بديع الكسم المعلّم الأوّل والأستاذ
الفاضل الذي عرفتُ فيه دائمًا القدوةَ الحسنة
والمثلَ الصالح لباحثٍ عن الحقيقة مجتهدٍ في طلبها
وعاشقٍ للحكمة متفانٍ من أجلها .

هاني عمران

شـــكر وتقديـــر

ليس وضع كتاب او اعداد رسالة علمية عملا نسيج وحده ، بل لا تتطلب الجدّة والاصالة مثل هذه القطيعة او التفرّد ، ولكنّه قبل كل شيء مواصلة حثيثة لركب العلم السائر ، وتواصل أصيل مع أهل الفكر ، واتصال جوهري بذوي الخبرة والمعرفة. لذلك أجد من واجبي هنا أن أشيد بفضل السابقين من فلاسفة وعلماء وباحثين ومفكرين فيما هو حق لهم ، فقد أضاءت نتاجاتهم الفكرية الخالدة صفحات هذه الرسالة ، وأشرقت على كل ثنية من ثناياها .

وأتوجه بأعمق آيات الشكر والعرفان بالجميل الى الاستاذين المشرفين : الدكتور محمد صفوح الاخرس من قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية في كلية الاداب بجامعة دمشق والدكتور محمد رمضان من قسم الاحصاء في كلية الاقتصاد والتجارة بجامعة دمشق . فقد أشرفا على هذه الرسالة كأحسن مايكون الاشراف ، وتابعا مراحل تطورها خطوة فخطوة ، ووقفا على خلجاتها وسكناتها ، وراقبا مجرياتها ودقائقها ، وأفاداني في بنائها ، وأغنياها بملاحظاتهما وتوجيهاتهما ، وكانا دائما في حاجتي بقدر حاجتي اليهما .

وشكري الى اساتذتي الافاضل في قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ، القسم الذي نشأت وترعرعت علميا بين جدباته ، وأخص بالذكر الاستاذ الدكتور عادل العوا رئيس القسم لنصائحه المفيدة وتوجيهاته الحكيمة ، والاستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي لمساهماته القيمة في مجال البحوث الاجتماعية والديموغرافية التي اتاحت لنا آفاقا واسعة للبحث .

وأود ان أعبّر عن امتناني الى جامعة دمشق التي اوفدتني للتخصص في الاحصاء الاجتماعي ، كما أشكر وحدة البحوث الاجتماعية التابعة لرئاسة مجلس الوزراء في سورية التي اتاحت لي مالم يتوفر عند غيرها من تسهيلات مختلفة وكتب ونشرات وبيانات ضرورية يسرّت سبل استخدامها والانتفاع بها . وخالص تقديري الى الدكتور عبد المالك الاخرس والاستاذ محمد نادر حلاق من المكتب المركزي للاحصاء ، لما أمدّاني به من معلومات وبيانات ودراسات حول الخصوبة في سورية كانت ضرورية للفصل الثامن من هذه الرسالة . وأشكر القيّمين على مكتبات جامعة دمشق ومن ساعد في كتابة هذه الرسالة واخراجها .

المحتويـــــــات

اهـــــــــداء ٣
شكر وتقديـــــر ٥
المحتويـــــــات ٧
المقدمـــــــة ٩

البـــاب الاول

الخصوبـة الانسانيـة وفـق المنظـور الاجتماعـي

الفصل الاول : الخصوبة وأطرها التفسيريـة في النظريـة الاجتماعيـة ١٧
الفصل الثانـي : الخصوبـة فـي اطـار المنظومـة المجتمعيـة ٧٥

البـــاب الثانـي

الخصوبـة على ضوء التقنيات المنهجية للاحصاء الاجتماعي

الفصل الثالـث : المنهجية العلمية ـ أصولها ، خصائصها ، مواءمتها لدراسة الخصوبـة الانسانيـة ١٢٥
الفصل الرابـع : التقنيات الاساسيـة لجمـع بيانـات الخصوبـة وتحليلهـا .. ١٦٠
الفصل الخامس : الخصوبـة وتقنيات القيـاس الاجتماعـي ٢١٧

البـــاب الثالـث

التحليل الاحصائـي للخصوبـة الانسانيـة

الفصل السادس : التوجهـات المعاصـرة فيي تحليل الخصوبـة الانسانيـة .. ٢٥٥
الفصل السابـع : المؤشـرات الاساسيـة للخصوبـة الانسانيـة ٢٨٩

البـــاب الرابـع

التطبيقـات والاستنتاجـات الرئيسـة

الفصل الثامـن : أضـواء على الخصوبة في سوريـة ٣٦٧
الفصل التاسـع : الخصوبـة والاحصاء الاجتماعـي والتنميـة ٤١٩

قائمة بالمراجع العربيـة ٤٤٧
قائمة بالمراجع الانكليزية ٤٥٢
خلاصـة بالانكليزيـة ٤٥٧

مقدمـــــــة

أضحـت المسألة السكانيـة واحدة من الهموم الكبيـرة والعامّـة التي تشغل بـال الانسـان في العصر الحديـث ، ولا عجـب في ذلك بالنسبـة الى قضيـة تمسّ أمـن الانسـان وسعادته وتلقـي بظلالها حول مستقبـل الانسانية ذاتها •

تكمـن أكثـر المظاهر خطورة لهذه المسألـة في التزايد السكانـي الذى أخـذ طابعا انفجاريـا ، والذى تجلّـى في معدّلات النمو السكاني التي تكشّفـت عن قيـم ايجابيـة مرتفعة والتي تميـزت بنقطـة انطلاق كبيـرة • فقد أظهرت معطيات الثمانينات أن سكان العالم يتزايـدون بمقدار ٢٠٠ ألف شخص في اليوم الواحـد ، ولسـوف تـزداد هذه القيمـة أكثـر فأكثـر مع تعاظـم قاعدة الانطـلاق وبقاء مستويات النمو السكانـي المرتفعـة • ويكـاد يُجمـع الخبـراء والمتخصصون علـى خطورة هذا التزايـد وعواقبـه الوخيمـة على الجنـس البشرى • وقد ظهر ذلك واضحا في الندوات والمؤتمرات والمحافل الدوليـة والاقليميـة التي عقـدت لهذا الشـأن ، والحـق انه مامن نفع يرجـى في مثل هـذا التزايـد ، إنْ هو الا مظهـر من مظاهـر اللامعقوليـة التي مانزال نتمتّـع بنفـوذ وسلطـان على الفعـل الانسانـي ، والتـي تدفـع بالانسان الى حيـث لا يقدّر عواقـب أفعالـه وصيـرورة احواله ، والتـي ينبغـي ان تتضافـر جهود بني البشـر للحـدّ مـن تأثيـرها والخروج من عهود يتهـا •

٤٨٠٦٨٣

وأحـد الوجوه الاخـرى للمسألة السكانيـة هو التناقـص او الانكمـاش السكانـي الذى يظهـر في صـورة معدّلات نمو سالبـة ، أى تقل قيمها عن الصفـر • ولكن هيمنـة الوضـع الاول طغـت على كافة المظاهـر والاعتبارات الاخرى للمسألة السكانيـة •

ولكـن ، مهمـا يكن الامر ، تظـل هناك حاجـة في سياسات وخطط التنميـة الاجتماعية والاقتصاديـة الى الالمـام بالبعـد الديموغرافـي ، والتنبـؤ بمستقبلـه ، وتحديـد الاسباب الكامنـة وراء تحولاتـه • وانّ على المخطّط ألا يكتفـي بتحريك الاقتصاد او توجيـه عملية التنميـة الاجتماعية ــ الاقتصادية بحسـب المعطى السكاني ، بل عليـه أيضـا أن يأخـذ بحسبانـه امكانيـة التأثيـر في البعـد السكاني واحداث التغييـر في الاتجاهات الديموغرافيـة ، ويتوجـب عليه في أضعـف الايمان ان ينظـر في انعكاسات

مشاريعه او خططه الانمائية على البعد الديموغرافي وأن يبحث في امكانية تلافي بعض التأثيرات غير المرغوبة •

ومن الملاحظ اليوم في هذه الحقبة من تطور المجتمع البشرى بعد أن قطعت الوفيات شوطا كبيرا في انخفاضها متجهة نحو الاستقرار عند مستوى منخفض — أقول من الملاحظ ان الخصوبة أخذت تحتل منزلة العامل الديناميي الرئيس الذى يتحكّم بصيرورة المعطى الديموغرافي والذى يفسّر تغيّراته • ولذلك فان حل المسألة السكانية او المشكلات العملية المشار اليها قبل قليل يكمن في عامل الخصوبة •

ان حلّ المسألة السكانية على هذا النحو يختلف عن الحلّ المالتسي الذى يركّز على عامل الوفيات • وأظن أن " مالتس " قد وجد في الاعاصير والفيضانات والكوارث الطبيعية الاخرى والمجاعات العامة والحروب المدمّرة نعمة الهية كبرى، لانها تعيد الى المجتمع الانساني توازنه • باختصار ، ان " مالتس " يرى أن علاج اللامعقول (أى التفجّر السكاني وسيطرة القوى البيولوجية والغريزية عند الانسان) يكون باللامعقول (أى عن طريق الكوارث والحروب والاستسلام للضرورة الطبيعية)• أما الحل الذى نعرض اليه هنا فيرى ان المعقول (أى ضبط الخصوبة ، وسيطرة الانسان على أفعاله وهواه وقواه البيولوجية ، وتحكمه بالشروط المحيطة) هو السبيل لعلاج اللامعقول (أى الاكتظاظ السكاني او الانكماش السكاني والمشكلات الناجمة عنهما)•

وهكذا أصبحت الخصوبة همّا مجتمعيا ، لان استمرارية عملية التجديد او رفد المجتمع بعناصر انسانية جديدة هو امر حيوى لبقاء المجتمع وتواصله ، ولا شك أن أى خلل يطرأ على هذه الفاعلية الحيوية يعرّض المجتمع لاضطراب محتّم وأكيد • ومن هنا برزت الحاجة منذ اواسط السبعينات بصورة خاصة الى وضع سياسات وبرامج تنموية تأخذ بعين الاعتبار مسألة الخصوبة الانسانية •

يجعل هذا كله من دراسة الخصوبة الانسانية والعوامل الكامنة وراء تغيّراتها مطلبا عليا وشأنا عاما وليس مجرد مسألة نظرية فحسب • ولعله مما يسترعي الانتباه هو انعدام وجود نظرية متكاملة حول الخصوبة الانسانية • وليس السبب في تأخر ظهور مثل هذه النظرية عائد الى ندرة او قلة ماكتب في هذا المجال بل ان السبب في ذلك يعود الى كثرة الادبيات المتعلقة بالخصوبة ، وتبعثرها

الشديد في علوم مختلفة او مجالات متفرقة من المعرفة العلمية ، أوشكت أن تنقطع العلائق فيما بينها ، وبات التوفيق بين شتاتها متعذّرا .

توجد هناك حاجة ماسّة الى انشاء منظومة نظرية متكاملة تستجيب لاهداف العلم ومراميه ، وترشد المخطّط ورجل الدولة الى وضع السياسات الملائمة واتخاذ القرارات الصائبة ، وتلك هي المهام التي فشلت في ادائها وجهات النظر الاحادية الجانب التي حاولت ربط الفعل الانساني في بعض مؤثراته دون الاخرى .

ويسود في هذه " الرسالة " اعتقاد مفاده أنه يمكن للنظرية الاجتماعية ، ان هي عززت بالاساليب والتقنيات الاحصائية ، أن تزوّدنا بمنظومة تحليلية تلمّ بأنحاء تعقيد ظاهرة الخصوبة الانسانية وتخدم أغراض البحث العلمي ، نظرا لما تتمتع به النظرية الاجتماعية من أفق نظري واسع يحيط بجميع جوانب الفعل الانجابي ولما تمتاز به المنهجية الاحصائية الرياضية من دقة وموضوعية وثبات وصحة وقدرة على تحقيق اغراض العلم ومراميه ، ومن هنا جاء سعي هذه " الرسالة " للربط بين الخصوبة والاحصاء الاجتماعي ، ولعلنا نعرّف الاحصاء الاجتماعي فنقول : انه ذلك الفرع من فرع المعرفة العلمية الذي يعمل ضمن نطاق النظرية الاجتماعية مستعينا بالاداة المنهجية الرياضية .

واثباتا لهذا الاعتقاد نبيّن في الباب الاول كيف يمكن للنظرية الاجتماعية أن تكون اطارا لنظرية متكاملة حول الخصوبة الانسانية ، حيث يحدّد الفصل الاول الهوية الاجتماعية لظاهرة الخصوبة ويشير الى كيفية استخدام اطرها النظرية العامة (التي تشمل الاطر البيولوجية والايكولوجية والديموغرافية والاقتصادية والسوسيولوجية والسياسية والسيكولوجية) في دراسة الخصوبة ، بينما يعالج الفصل الثاني الخصوبة ضمن اطار المنظومة المجتمعية التي تعتبر اكثر اشكال التنظيم الاجتماعي أهمية .

يتناول الفصل الاول الخصوبة انطلاقا من أكثر المستويات عمومية ــ مستوى الفعل الانساني ، فينظر اليها باعتبارها نتاج فعل انساني (هو الانجاب هنا) يحكمه نوعان من المحددات هي المحددات البيوفيزيولوجية المتصلة بشروط العضوية الانسانية وآلية التناسل ، والمحددات السيكولوجية ــ الاجتماعية المتصلة بالوعي والارادة والشعور لدى الانسان . ثم يبيّن كيف تؤثر الشروط المحيطية المتصلة بالواقع المادي ــ العضوي ــ الاقتصادي ــ الاجتماعي ــ السيكولوجي على الفعل

الانساني (الانجاب) دافعة اياه في هذا المنحنى او ذاك • وينتقل الفصل الثاني من مستوى منظومة الفعل الانساني الى مستوى المنظومة الاجتماعية ، ليبيّن كيف يمكن استخدام عناصر هذه المنظومة في تفسير تغيرات الخصوبة •

يعالج الباب الثاني التقنيات المنهجية التي يوفّرها الاحصاء الاجتماعي ، فيشير الفصل الثالث الى أن قوام المنهجية العلمية المستخدمة في دراسة الظواهر الاجتماعية (بما فيها الخصوبة) ثلاثة عناصر هي : التحليل الاستقصائي ، والتحليل الاحصائي ، وتحليل المنظومات • ويعرض الفصل الرابع الى التقنيات والاساليب المتعلقة بجمع بيانات الخصوبة وتحليلها • وينظر الفصل الخامس في الخصوبة وتقنيات القياس الاجتماعي •

موضوع الباب الثالث هو التحليل الاحصائي للخصوبة الانسانية ، حيث يبيّن الفصل السادس موضوعات التحليل وأساليبه وتوجّهاته ، ويبحث الفصل السابع في المقاييس والمؤشرات الاحصائية للخصوبة •

ويتضمن الباب الرابع تحليلا للخصوبة في سورية ، كما يتضمن تلخيصا لما جاءت به هذه " الرسالة " وعرضا للاستنتاجات الاساسية حول الخصوبة والاحصاء الاجتماعي والتنمية عبر الفصل التاسع•

تدور هذه " الرسالة " حول مقولة أساسية مفادها ان تغيّر الخصوبة تابع (بالمعنى الاحصائي) للتغيّر الاجتماعيّ • ونعتبر هنا أن التغيّر الاجتماعي هو الموضوع الرئيس للاحصاء الاجتماعي وهو الامر الذي نعالجه عبر البابين : الاول والثاني ، أما تغير الخصوبة فهو موضوع الباب الثالث بصفة خاصة • ولعل الرسم التخطيطي المبيّن في الشكل • ـ ١ يستطيع توضيح صلة فصول وأبواب هذه " الرسالة " مع بعضها بعضا ، وتضافرها فيما بينها من اجل تحقيق الغاية الرئيسة المتمثلة في انشاء المنظومة التحليلية للخصوبة •

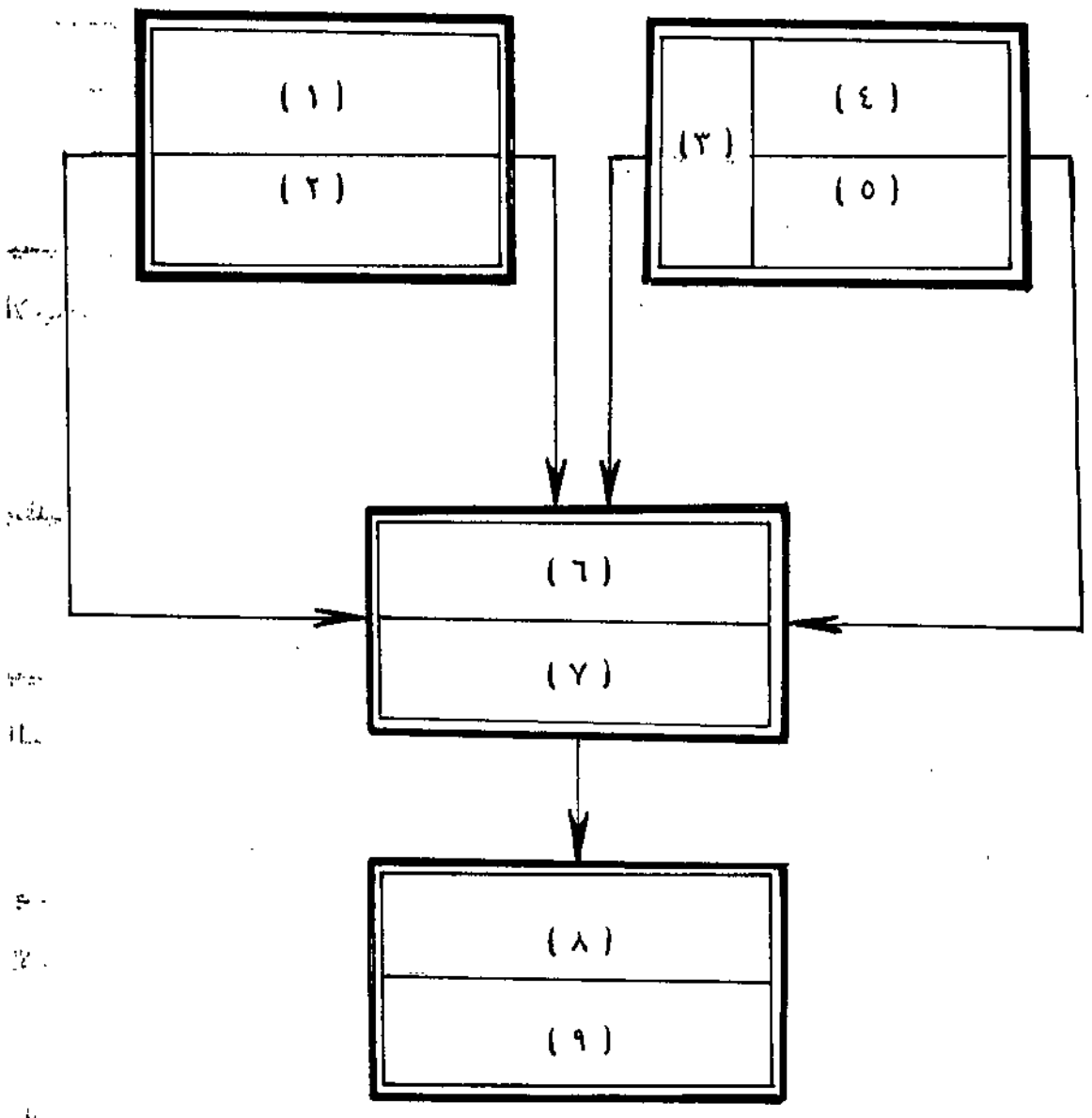

(ملاحظة : تشير الارقام الى فصول الرسالة ، بينما تشير الوحدات الى الابواب)

ولكن تلك المقولة الاساسية (أى تغير الخصوبة تابع للتغير الاجتماعي) لا يمكن ان تكون موضوعا للعلم او للبحث العلمي الا اذا تُرجمت مفاهيمها وتصوراتها الى متغيرات تخضع للقياس والتكميم وتلك هي الصعوبة الاساسية التي تواجهها العلوم الاجتماعية • ونحن نولي في عملنا هذا اهتماما خاصا بهذه المسألة التي تعتبر بحق معيار العلم وآية نجاحه • ولا نستطيع الاخذ بالمنظومة التحليلية التي يقدّمها الاحصاء الاجتماعي الا اذا تأكدنا من صحة النهج الذى يسلكه هذا العلم في تكميم متغيراته ، بل لا بد لنا من أن نجد سبيلا لتحويل المركّبات النظرية (التي تؤلف قوام المنظومة التحليلية التي يمدّنا بها الاحصاء الاجتماعي)

الى متغيرات واضحة محددة وقابلة للقياس •

وبما أن التغيّر هو الموضوع الرئيس للعلم ، لذلك نجد في الباليين الاول والثاني تركيزا على قياس التغير الاجتماعي ، كما نجد في الباب الثالث تركيزا على قياس تغيّرات الخصوبة • وبصورة عامة يمكن القول : ان الفصول ١ و ٢ و ٧ تجيب عن السؤال : " ماذا نقيس ؟ " ، حيث تُحدد المتغيّرات المستقلة التفسيرية والضابطة كما تُحدّد المتغيرات التابعة الرئيسة • وتتضمن الفصول ٣ و ٤ و ٦ اجابة عن السؤال: " لماذا نقيس ؟ " ، ويعتبر هذا السؤال هاما ، لاننا نقيس مانقيس لكي نحقق هذه الغاية التحليلية او تلك ، ولكي يأتي ملاسبا للمخطّط التحليلي الذى نحن بصدده • أما السؤال : " كيف نقيس ؟ " فيتضمن الفصلان الخامس والسابع اجابة عنه • ويجيب الفصل الثامن عن ماهي مقاييس الخصوبة في سورية ؟ •

وقد تطلبت منا هذه " الرسالة " اجراء مراجعة واسعة للادبيات النظرية والميدانية المتعلقة بالخصوبة الانسانية ، (وخاصة ماعرض منها ضمن منشورات الامم المتحدة) ، كما تطلبت الاطلاع على أدبيات العلوم الاجتماعية سواء المتعلقة منها بالنظرية الاجتماعية او أساليبها وتقنياتها المنهجية ، وكان لابد ايضا من العودة الى بعض المراجع المنطقية والرياضية والاحصائية • ومن المفيد ان نشير الى أن الغالبية العظمى من المراجع الاساسية مكتوب باللغة الانكليزية ، ولذلك فقد اجتهدنا في ان ننقل الى العربية بعض المصطلحات والمفاهيم الجديدة •

الباب الاول

الخصوبة الانسانية
وفق المنظور الاجتماعي

الفصل الأول

الخصوبة وأطرها التفسيرية في النظرية الاجتماعية

محتويات الفصـــل الاول

مقدمـــــــة ....

١ــ التعريف بالنظرية العلمية ودورها في عملية البحث العلمـــي •

٢ــ مبررات النهـج الاجتماعـي في دراسـة الخصوبـــة •

٣ــ الاطـار البيولوجـــي :

٣ــ١ــ الخصوبـة ونظريات التعويـض الالـي •

٣ــ٢ــ الخصوبـة وقدرة المحافظة على البقـاء •

٣ــ٣ــ تعثـر النزعات البيولوجيـة في تفسير الاتجاه الهابط للخصوبـة •

٤ــ الاطار الايكولوجـــي :

٤ــ١ــ البدايات الاولى للاتجاه الايكولوجي في دراسة الخصوبة •

٤ــ٢ــ الثورة التكنولوجيـة وتغيـر البيئـــة •

٤ــ٣ــ بعض الاتجاهات الايكولوجية المعاصرة في تحليل الخصوبة •

٤ــ٤ــ قصور النزعة الايكولوجيـــة •

٥ــ الاطار الديموغرافـــي :

٥ــ١ــ الديموغرافيا ومكانة الخصوبـة فيها •

٥ــ٢ــ الخصوبـة والبنيـة السكانيـــة •

٥ــ٣ــ الخصوبـة والحركـة السكانيـــة •

٥ــ٤ــ مؤشرات لا مؤثرات (محدودية النزعة الديموغرافية الصرفـة) •

٦ــ الاطـار الاقتصـــادى :

٦ــ١ــ اهمية النشاط الاقتصادى للفعاليات الانسانية المختلفـة •

٦ــ٢ــ التصورات الاولى للمحددات الاقتصادية للخصوبـــة •

٦ــ٢ــ١ــ لا وجود لنظرية اقتصادية عن الخصوبة لدى مفكرى عصر النهضة •

٦ــ٢ــ٢ــ الخصوبة ونظريات الفقر والغنى وتوزيع الثروة •

٦ــ٢ــ٣ــ الخصوبة وظهور الطبقـة الوســطى •

٦ــ٢ــ٤ــ الخصوبة والدخل والاسـعار •

٦ــ٢ــ٥ــ الخصوبة والكماليات والضروريـــات •

٦ــ٢ــ٦ــ النظر الى العوامل الاقتصادية باعتبارها كوابح للخصوبة •

٦ــ٣ــ بعض المساهمات الحديثة في النظرية الاقتصادية للخصوبة :

٦ــ٣ــ١ــ العامل الاقتصادى في نظرية التحول الديموغرافي •

٦ــ٣ــ٢ــ الخصوبـة عنـد جماعـة الاقتصاد المنزلـــي •

٦ــ٤ــ بعض الملاحظات حول المحددات الاقتصادية للخصوبة •

٧ــ الاطار السوسيولوجي :

٧ــ١ــ اهمية الاطار التفاعلي (الاجتماعي) في دراسة الخصوبة •

٧ــ١ــ١ــ تأثير العوامل الاجتماعية على السلسلة السببية للانجاب •

٧ــ١ــ٢ــ المساهمة الاساسية للسوسيولوجيا في مجال فهم الخصوبة وتفسيرها •

٧ ــ٢ــ الخصوبة وبنية العائلة :

٧ــ٢ــ١ــ طبيعة العلاقة بين الخصوبة والبنية العائلية •

٧ــ٢ــ٢ــ المتغيرات الاساسية لنموذج تركيب العائلة وصلتها بالخصوبة •

٧ــ٢ــ٣ــ الانماط الاساسية للعائلة •

٧ــ٢ــ٤ــ الخصائص الخصوبية لنظامي العائلة الممتدة والنووية •

٨ــ الاطار السيكولوجي •

٩ــ الاطار السياسي والايديولوجي •

١٠ــ خلاصة واستنتاج :

١٠ــ١ــ تطور نظريات الخصوبة •

١٠ــ٢ــ النظرية الاجتماعية واطرها العامة •

١٠ــ٢ــ١ــ الاطار البيولوجي والنزعة البيولوجية •

١٠ــ٢ــ٢ــ الاطار الديموغرافي والنزعة الديموغرافية •

١٠ــ٢ــ٣ــ الاطار الاقتصادي والايكولوجي ومدى نجاح الاتجاه الاقتصادي •

١٠ــ٢ــ٤ــ الاطار السوسيولوجي والنزعة السوسيولوجية •

١٠ــ٢ــ٦ــ النظرية الاجتماعية ومحدودات الخصوبة •

١٠ــ٣ــ المنظومة التحليلية للخصوبة وفق المنظور الشامل للنظرية الاجتماعية •

٧٧٧٧٧٧٧

مقدمـــــــــــة

لا وجود حتى الآن لنظرية شاملة متسقة متكاملة حول الخصوبة الانسانية ، بالرغـــم من الادبيات النظرية والميدانية الثـرّة حول هذا الموضوع • ان من يطلع على ماكتـــب بصدد ذلك في اعمال البيولوجيين والاطباء والديموغرافيين والسوسيولوجيين والاقتصاديـــن ورجال السياسة والقانون يشعر انه امام مجموعة من الظواهر المختلفة او المتباينة ، ويجـــد نفسه امام سيل من المفاهيم والمصطلحات التي لا يكاد يجمع بينها جامع او يربطها رابـــط ، مع ان الظاهرة واحدة في حقيقتها ، وان تعددت وجوهها وكثرت جوانبها • ولا شـك ان مثل هذا التشتت او التمزق لا يعود بالفائدة على دراسة ظاهرة الخصوبة الانسانية •

يشكل هذا الفصل محاولة للبحث عن نظرية متكاملة ذات تصميم مفهومي شامل ومتسق حول الخصوبـة الانسانية ، مستمدة من السياق العام للنظرية الاجتماعية ــ ذلك السياق الذي يعمل ضمـــن نطاقه الباحثون في العلوم الاجتماعية ، والذي نعتقد هنا انه الحاضن لمنظومة المتغيـــرات التفسيرية التي تستخدم في تحليل الخصوبة ودراستها • وسنرى ان معظم النظريات المقترحـة لتفسير الخصوبة يمكن ردها الى هذا السياق الاجتماعي العام بهذا الشكل او ذاك ، وانهـا كانت في الغالب احادية الجانب one - sided ، تنظر الى الموضـوع من طرف واحد فحسب ، لذلك عجزت عن الالمام بجوانب تعقيد هذه الظاهرة ، وفشلت فـي تفسير تجربة الخصوبة والتنبؤ بمستقبلها وتقديم المساعدة اللازمة لواضعي الخطط السكانية •

وسنعمد ابان عرضنا للاطر العامة للنظرية الاجتماعية الى الامساك بالخيـــــوط الاساسية التـي تشكل نسيج النظريـة التي من شأنهـا تفسـير التحولات التي طرأت علـــى الخصوبـة او تجربتهـا والكشف عـن المحددات العامـة التي اسهمت فـي هذا التحـــول او الانتقـال • ويتطلب منا ذلك القيام بمراجعة واسعة للأدبيات المتعلقة بموضوع الخصوبـة الانسانية والمستمدة من التراث النظري والابحاث الميدانية المنفذة ، معتمدين في ذلـــك على مبدأ الاختيار والمفاضلة اللذين تتحكم بهما وتوجههما مقتضيات البحث عن تفســـير مقبول علميا لهذه الظاهرة ، هذا التفسير الذي يقع ضمن اطار النظرية الاجتماعية • (١)

---

(١) تفرد معظم الاعمال المدرسية في الديموغرافيا جوانب هامة منها للنظر فـي الخصوبة الانسانية • وتحتل ابحاث الخصوبة ودراستها حيزا كبيرا من منشورات " هيئـــة الامم المتحدة " ، كما انها موضع اشراف ورعاية وتشجيع منظمات ومؤسسات علمية قوميـــة وعالمية • وقد تمخض المشروع العالمي لمسح الخصوبة الانسانية World Fertility Survey المعروف اختصارا بـ (WFS) عن مجموعة من الابحاث الميدانية التي توفر لنـــا الادلة التجريبية حول تجربة الخصوبة في اكثر من ستين بلدا من بلدان العالم • وتشـــكل هذه كلها اغناءا لمعلوماتنا حول هذه الظاهرة ومصادر هامة لامتحان نظريات الخصوبة •

لذا ، فنحن لا نبغي هنا تقديم مسرد تاريخي شامل لنظريات الخصوبة او للمحاولات الرامية الى ذلك ، فهذه المهمة تقصّر عنها امكانيات الفرد وطاقاته ، لانها موضوع تتوازعه علوم كثيرة نذكر منها البيولوجيا والفيزيولوجيا والطب والديموغرافيا والسوسيولوجيا وعلم الاقتصاد والجغرافيا وعلم النفس والعلوم السياسية والتشريعية • وسنستعيض عن ذلك بمحاولة لتبين اتجاهات التنظير الاساسية في تقربها المتزايد وتقدمها المتواصل وسعيها الدائم للوصول الى تفسير يتفق مع معايير العلم • ونعتقد ان هذه المهمة الاخيرة لا تقل في نفعها عن المهمة السابقة المستحيلة ، فهاهنا فرصة ملائمة للخروج باطار نظري علم يصلح اساسا ومنطلقا للشروع بدراسة ظاهرة الخصوبة الانسانية •

ان النظرية هي الموجه لعملية البحث العلمي بمختلف مراحلها ، اذ لا بد للباحث من ان يبدأ من شيء ما او بالاحرى من مجموعة اقوال وفرضيات حول الشيء الذي يبحث فيه ولا بد للمعني بعملية القياس وانشاء المؤشرات من ان يكون على علم بما يود قياسه •

ينبع اهتمامنا بالنظرية الاجتماعية هنا من كونها تزودنا بالمتغيرات التفسيرية الاساسية التي تستخدم في دراسة الخصوبة الانسانية ، والتي تساهم اجراءات القياس في توضيحها وتحديدها ، والتي يتطلب امتحان علاقتها بالخصوبة ضرورة قياسها بدقة •

نحدد في هذا الفصل الاطر العامة للنظرية الاجتماعية ، ونبين كيف يمكن رد نظريات الخصوبة الى هذه الاطر ، وكيف ان البقاء ضمن حدود اي منها يشكل احد اتجاهات التنظير الاساسية • وسنثبت ان اي من هذه الاتجاهات لم يكن قادرا بمفرده على تقديم التفسير المقبول علميا ، وان التفسير المرضي تأتي به النظرية التي يكون ساحها هذه الاطر مجتمعة • ولكننا قبل ذلك نعرّف بالنظرية وعناصرها ومبررات النهج الاجتماعي الذي ندعو اليه هنا •

١ــ التعريف بالنظرية العلمية ودورها في عملية البحث العلمي •

النظرية هي محاولة لفهم الواقع وتفسيره • فهي بهذا المعنى تنتمي الى " عالم الافكار " ، عالم المفاهيم والتراكيب الفكرية والنماذج (الموديلات) المقابل لـ " عالم الوقائع التجريبية " عالم المعطيات الامبريقية • ان التمييز بين هذين العالمين ضروري بسبب مانلاحظه احيانا من انعدام التوافق او التطابق بينهما • ولكن هذا التمييز لا يعني انفصالا تاما او قطعا للعلائق والروابط بينهما ، لذلك ينظر الى الجهد العلمي على انه مسعى للربط بين هذين العالمين ، ونشاط متواصل لردم الهوة القائمة بينهما •

يمكن القول بصورة عامة : ان جميع النظريات التي تتضمن احكاما وجودية ماهي الا محاولات لفهم او تفسير وقائع معينة • [1] فمن السهل ان نتبين هنا حاجة النظرية الى الواقع لانه مصدر معطياتها ومعيار صدق او كذب احكامها • ولعلنا ندرك بجلاء ان الواقع في حد ذاته لا يتوقف وجوده على وجود نظرية تفسره او تقول عنه شيئا • ولكن الواقع بما هو موضوع للفكر الانساني ، وبما هو عنصر مكون واساسي في منظوماتنا العلمية ، يغدو بحاجة ماسة الى النظرية حتى يصبح مفهوما او مفسرا •

للنظرية دور هام في عملية البحث العلمي ، فهي تقوم بتحديد التوجيه الرئيسي للعلم عند قيامه بدراسة ظاهرة معينة مشيرة الى المعطيات الواجب جمعها ، وتقدم مخططا للمفاهيم الاساسية ، وتلخص ماتمت معرفته حول موضوع ما ، وتشير الى الثغرات القائمة في معرفتنا بظاهرة معينة ، وتحاول التنبوء بالاتجاهات المستقبلية لصيرورة ظاهرة معينة • [2]

---

(١) الاحكام الوجودية هي الاحكام التي تتحدث عن اشياء خارجية (اى موجودة في العالم الخارجي) ، وهي الاحكام التي تتحقق من صدقها او كذبها بصورة تجريبية تنتمي الى هذه الفئة احكام العلوم الطبيعية والاجتماعية • وتقابلها الاحكام التحليلية او القبلية ، تلك التي تشكل مادة العلوم الرياضية والمنطق ، والتي يمكن التحقق من صدقها او كذبها عن طريق تحليل بنيتها المنطقية او الصورية ، ولا تتطلب الرجوع الى الواقع التجريبي •

(٢) اشار الى الوظائف الخمس للنظرية من حيث هي اداة للعلم كل من :
" و • جـ • غود " و " ب • ك • هت " راجع :
W. J. Goode and P.K. Hatt: " Methods in Social Research "
Mc Graw -Hill Book Company, New York, 1952, see PP. 8 - 12 .

وللنظريات الاجتماعية والسكانية مثل هذه الوظائف ايضا ، ولكن وظيفة التنبؤ لم تحظ بين الباحثين الاجتماعيين بالاجماع المطلوب في هذا المضمار ، نظرا لصعوبة التنبؤ في مجال العلوم الاجتماعية وكثرة مزالقه • ولكن ، تنطوى كل نظرية على قدر من التنبؤ ، لانها تمثل نوعا من الملاحظات المعممة التي يمكن مدّها عبر الزمان والمكان ، متنقلة من المعلوم الى المجهول • ماتقرره النظريات هو انه تحت مجموعة الشروط (س) ، يمكن ملاحظة (ص) ، فهي بذلك تنطوى على قدر من التنبؤ • تقرر نظرية " التحول الديموغرافي " مثلا حقيقة هامة مفادها ان دخول التكنولوجيا الحديثة الى مجتمع زراعي سوف يؤدى الى هبوط مؤكد في معدلات الوفيات مصحوب بارتفاع قصير الاجل (قد يصل الى خمسين عاما) في معدلات الخصوبة ، يعقبه انخفاض في معدلات الخصوبة على المدى الطويل • ويمكن ان نتوقع ايضا حدوث هبوط في معدلات الخصوبة ، ان ارتفعت معدلات التحضر والتصنيع ومستويات المعيشة والتعليم ، ووصلت الى حد معين • وهذا في حد ذاته ضرب من ضروب التنبؤ •

ويلاحظ في هذه الايام ازدياد الحاجة الى القيام بتنبؤات واسقاطات مستقبلية حول اتجاهات الخصوبة ونماذجها المستقبلية • ولا شك ان المنهجية العلمية قد اصابت نجاحا مؤكدا على هذا الصعيد •

يمكن ان تكون النظرية السكانية اداة للتغيير ، ان هي ترجمت الى اجراءات عملية ضمن اطار سياسة سكانية • ولكن لا يوجد هناك خلاف جوهرى بين كون النظرية اداة للفهم والتفسير وكونها اداة للتغيير ، لان المهمة الثانية تفترض الاولى •

ويمكن القول بصورة عامة : ان النظرية تظل نشاطا ذهنيا او عملا فكريا ، هدفها الرئيس ان تتحدث عن شيء ما ، سواء اكان هذا الحديث او الاخبار يمثل اكتشافا ام وصفا ام تفسيرا ام تنبؤا • ولكن ما ان تصبح النظرية اعتقادا او برنامجا او سياسة تتبناها حكومات او مؤسسات او منظمات او قوى سياسية واجتماعية ، حتى تتحول الى اداة للتغيير • ويصدق هذا بصورة خاصة على النظريات الاجتماعية والسكانية ، لان الفعل الانساني هو موضوع هذه النظريات ، ولان الارادة او الوعي الانساني احد مقومات هذا الفعل •

السمة الجوهرية للنظرية هي كونها تمثل نشاطا فكريا ، ولكن هذا لا يتضارب مع امكانية صوغ بعض النظريات التي تركز بصفة خاصة على عملية التغيير او بعض جوانبه • ويتوجب على النظرية العلمية ان تؤدى الوظائف الاساسية السابقة ، كلها او بعضها ، والا فلا نفع فيها للعلم في اى حال من الاحوال • وقد علمنا ان النظرية تقرر اقوالا معينة ، ولكنها اقوال ذات معنى ، وهي لا تكون كذلك الا اذا كانت احكاما يمكن التحقق من صدقها او كذبها بالرجوع الى الواقع او ربطها به على نحو من الانحاء • وهكذا نجد ان الواقع عنصر اساسي في مفهوم النظرية •

تصنف النظريات احيانا في صنفين رئيسين : صنف النظريات التي تتحدث عن النظم او البنى التي تتجلى فيها ظاهرة معينة ، وصنف النظريات التي تتحدث عن التغير الذى طرأ على تلك النظم والبنى • ولكن النظريات التي تتحدث عن النظم تكاد تقتصر مهمتها على الوصف ، وهي لا تستطيع المضي الى ابعد من ذلك • اما النظريات التي تعتبر التغير موضوعها ، فهي التي تستطيع المضي الى ابعد من الوصف لتقول شيئا عن الاسباب او العوامل او المحددات التي انتجت ذلك التغيير • والحق انه لم يعد هناك ثمة ضرورة للاخذ بجدية او فائدة مثل هذا التصنيف ، لان العناصر التي تشكل مقومات منظومة او بنية معينة هي ذاتها التي تغيرها • وسنجد في فصل قادم (الفصل السادس) ان التوجه العلمي المعاصر في تحليل الخصوبة ينصب على دراسة التغير ، فهو يتطلع الى تحديد مستويات التغير ونماذجه واتجاهاته وتفاضلاته وعوامله او محدداته •

لا شك ان النظريات المتعلقة بظاهرة معينة مرت باطوار مختلفة ، اذ كانت في مراحلها الاولى مجرد افكار شائعة متداولة ، او ملاحظات تفتقر الى السند العلمي والامتحان الميداني ، او معارف واقوال مبطنة بمواقف ايديولوجية او خاضعة لاعتبارات ميثالوجية • واعتقد ان هذه المرحلة كانت طويلة نسبيا في حياة او تطور النظريات الاجتماعية والسكانية •

لقد تضافرت مجموعة عوامل ، فحالت دون ظهور نظرية علمية عن الخصوبة الانسانية او نظرية سكانية على وجه العموم قبل بداية القرن العشرين • يمكن ان ترد هذه العوامل الى مصدرين رئيسين هما تطور المعرفة العلمية وتطور المجتمع ذاته • اذ كان ينظر الى ظاهرة الخصوبة الانسانية وغيرها من الظواهر السكانية على انها معطى datum ، فاعمى ذلك مفكرى ماقبل القرن العشرين عن النظر الى التغير في ذاك المعطى السكاني او مجرد التفكير في عوامله ، ومنع من انشاء نظرية سكانية في تلك المرحلة •

اما المجموعة الاخرى من الحوامل التي اخرت نشوء نظرية علمية عن الخصوبة فهي تتصل بتطور المجتمع ذاته • اذ لم يكن بالامكان مثلا التحدث عن تأثير " التحضر " على خصوبة السكان في مجتمع زراعي رعوى بكامله ، او عن " الحراك الاجتماعي " ودوره في خفض او كبح الخصوبة في مجتمعات ماقبل الصناعة ، التي كانت فيها الفواصل او الحواجز الموضوعة بين الطبقات الاجتماعية سميكة عاتية تمنع اية حركة عمودية بين الفئات الاجتماعية • ولعلنا نذكر ايضا أن الخصوبة كانت عنصرا خاملا في المجتمعات القديمة ولم تصبح موضعا للاهتمام الا في المرحلة الحديثة والمعاصرة عندما غيرت سلوكها واضحت عنصرا ديناميا (حركيا) •

واستنادا الى ماتقدم نستطيع القول : ان البحث العلمي في الخصوبة الانسانية هو امر جديد نسبيا ، وقد لا يكون بامكاننا التحدث عن نظرية علمية حول الخصوبة قبل اوائل القرن العشرين • فلو تأملنا مثلا في الجانب البيولوجي والفزيولوجي من الخصوبة لوجدنا ان جوانب هامة وكثيرة تتعلق بالمظاهر البيوفيزيولوجية للتوالد البشرى لم يماط اللثام عنها الا بعيد ستينات القرن العشرين ، ابان احداث منظمة الصحة العالمية عام ١٩٦٥ لدائرة متخصصة في توالد الجنس البشرى ، افلحت معها لاول مرة تقارير الباحثين والمتخصصين في جلاء حقائق كثيرة عن بيولوجيا التوالد وما يتصل بها من فيزيولوجيا الارضاع ، وعمل الغدد والهرمونات وما الى ذلك •[1] هذا على الرغم من ان الاتجاه البيوفيزيولوجي واحد من اقدم اتجاهات البحث في الخصوبة الانسانية •

النظرية ، اذن ، هي بنيان فكرى يتوخى فهم الواقع و / او تفسيره • ويشترط في هذا البنيان ان يكون متسقا او خاليا من التناقض ، والا فلن يكون هناك فهم او تفسير • ويشترط فيه ايضا ان يكون متطابقا او متوافقا مع الواقع وما تقرره التجربة ، والا كان فارغا ولا جدوى منه • وتعتبر النظرية مقبولة علميا ان تحقق فيها هذان الشرطان ، وان افلحت في اداء الوظائف الخمس المشار اليها سابقا ، كلها او بعضها على الاقل •

(١) بورجوا ــ بيشا : " علم السكان " ، في " الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية والانسانية " ، القسم الاول ، المجلد الثاني ، ترجمة مجموعة من المتخصصين ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٧٦ ، انظر ص ص ٢٠٣ ــ ٢٠٤ •

٢ــ مبررات النهج الاجتماعي في دراسة الخصوبة •

لم نصل بعد الى منظومة نظرية متكاملة تفسر ظاهرة الخصوبة الانسانية ، وتحيط بابعادها ، وتخضع في نفس الوقت لمعايير الدقة والموضوعية والصحة والثبات ، وتتمتع بالقبول والاجماع عند الباحثين المعنيين بامر هذه الظاهرة ، وترتفع الى مصاف النظريات العلمية الاخرى المعروفة في مجال العلوم الطبيعية • ولكن ، لن يكون هذا الهدف بعيدا ، لان هذه الظاهرة وضعت الان على طريق العلمي الذى يوصل الى ذلك •

تهدف معظم نظريات الخصوبة الى الكشف عن المحددات الاساسية لهذه الظاهرة (هذا هو محور النشاط التفسيرى) ، ولكن هذا لا يعني انها كانت دائما تصيب هدفها • لعل السبب الرئيسى في قصور تلك النظريات هو كونها احادية الجانب • كان اصحاب النزعة البيولوجية مثلا ينظرون الى هذه الظاهرة باعتبارها بعدا بيولوجيا فحسب ، ولذلك تجدهم يفسرون هذه الظاهرة او التحولات التي طرأت عليها من خلال علاقة العضوية الانسانية (اعني التركيب البيوفيزيولوجي للانسان) مع البيئة الطبيعية • اما اصحاب النزعة الاقتصادية فيجدون في النشاط الاقتصادى العامل المفسر الرئيسى • وقد وجد اخرون ان التنظيم الاجتماعي الذى يعيش ضمنه الانسان ويكسبه العادات ويعطيه دورا او ادوارا يمارسها هو الذى يفسر التغيرات التي حدثت في الخصوبة • بينما رأى بعض الباحثين ان القيم والاعتقادات وقواعد الاخلاق هي محددات الخصوبة ، فان شاء الانسان انجب اطفالا ، والا امتنع عن ذلك ، والعامل الرئيسى الذى يوجه قراره هو القيم والاعتقادات التي يتبناها • وتوجد هناك اتجاهات اخرى في دراسة الخصوبة كما سنرى بعد قليل •

لقد كانت النظريات التي جاءت بها مثل هذه النزعات الاحادية الجانب قاصرة وعاجزة عن تفسير ماحدث ويحدث او التنبوء بما سيحدث ، لانها جميعا تشترك في كونها تضع الخصوبة ضمن جانب واحد من الفعل الانساني ، مهملة الجوانب الاخرى • لذلك كان لابد من البحث عن نظرية حول الخصوبة الانسانية اكثر شمولا وذات قدرة تفسيرية اكبر •

ان البحث عن نظرية متكاملة حول الخصوبة كان وليد النظرية الاجتماعية او وليد التوجه الاجتماعي في دراسة المشكلات السكانية • وسنعرض بعد قليل الى الاطر العامة للنظرية الاجتماعية ونبين استخداماتها في تفسير السلوك الانجابي • ولكن قبل ذلك نشير الى اهمية السياق الاجتماعي لنظريات الخصوبة ، كما نشير الى بعض الموضوعات والافكار الاجتماعية التي استخدمت في تحليل الخصوبة •

يكاد يكون من العسام والثابت عند دارسي الخصوبة في هذه الايام ان يقوموا بتحليل المحيطات او البيئات الاجتماعية والجماعات الفرعية التي ينتمي اليها المستجيب • وقلما نعثر على استقصاءات ديموغرافية لا ترتب بياناتها بحسب الميزات الاجتماعية للاشخاص المستجيبين •

سنجد في مكان آت من هذا الفصل ان المتغيرات السيكولوجية لا تفيد من تفسير الخصوبة الا اذا وضعت في سياقها الاجتماعي • وقل الشيء ذاته بالنسبة للمتغيرات الاقتصادية ، لاننا لا نهتم بالعوامل الاقتصادية والمادية بحد ذاتها ، بل نهتم بردود افعال الناس او استجاباتهم نحو تلك العوامل والشروط الاقتصادية ، فان هذه الاستجابات هي التي ترتبط بالخصوبة او تؤثر عليها •

ان الدرس المستفاد من السوسيولوجيا او من التعامل مع النظرية الاجتماعية هو ان لا دلالة من الناحية النظرية لاية متغيرات معزولة ، وانه لابد من ان نأخذ بعين الاعتبار الاطار التفاعلي (المنظومة الاجتماعية) الذي تعمل بداخله العلاقات المختلفة بين الخصوبة وعواملها التفسيرية ، وان التغيرات التي تطرأ على المنظومة الاجتماعية تجر معها او وراءها تغيرات في تلك العلاقات والارتباطات • وهكذا صار بالامكان التساؤل عن المنظومات — الاجتماعية التي تشجع كثرة النسل او تحد منها ، وبات يطرح السؤال عن نوعية التغيرات التي تنتاب هذه المنظومات الاجتماعية فتؤدي الى احداث تغيرات في عمل محرضات الفعل الانجابي •

من المحاولات الاجتماعية لتفسير الخصوبة كانت محاولة الربط بين مستويات الخصوبة ومستويات التحضر • ويعتقد ان ظاهرة المدن غير الخصيبة كانت معروفة منذ امد غير قريب • وليس التحضر Urbanism مجرد اقامة في الحاضرات المدنية فحسب ، بل هو نمط او اسلوب الحياة والمعيشة الذي تفرضه تلك المدن ، انه طبيعة الحياة الاجتماعية بكافة شروطها ومتطلباتها التي تتطلبها المدن وهذا يعني انه لو انتقل اسلوب حياة اهل المدن الى سكان الارياف لحدث نفس التأثير على خصوبتهم • ويؤكد بهذا الصدد " وليم بترسون " ان انحدار مستويات الخصوبة في " الولايات المتحدة الامريكية " لم يكن ناجما عن ازدياد نسبة التحضر ، بل لقد بدأ انخفاض الخصوبة قبل اقبال سكان الارياف على التجمع في الحاضرات المدنية .[١] ويعلل ذلك " بترسون " بانتشار القيم الحديثة وتعمم اسلوب الحياة المعروف في المدن على الريف الامريكي .[٢]

---

(١) W. Peterson, " Population", The Macmillan Company, 1961 , see P . 214 .

(٢) Loc . cit .

وعلى صعيد التوجهات الاجتماعية في دراسة الخصوبة ظهرت نظريات تحاول ربط الاتجاه الهابط للخصوبة مع فكرة التقدم والتطور الاجتماعي المتمثلة بعمليات " التمدين " ومن المفيد ان نلاحظ هنا ان هذه المصطلحات متقاربة في المعنى ، لانها تشترك في الاشارة الى نمط الحياة الجديد المخالف لعهود المرحلة التقليدية والقديمة • ولكن مصطلحي " التمدين " و " الحضارة " يشيران الى عناصر من نوع ثقافي ، اكثر منها من نوع مادي بينما يشير مصطلح " التصنيع " الى عوامل مادية او اقتصادية ، اما مصطلح " التحديث" فيتضمن عناصر مادية واخرى ثقافية •

ان مصطلح " التحديث " اكثر تعقيدا وابعد شمولا من المصطلحات السابقة انه يصف حركة المنظومات الاجتماعية وهي تتجه نحو مستويات اعلى في سلم التطور • فالتحديث هو الشكل المعاصر للتغير الاجتماعي •

وقد حل اليوم مصطلح " التنمية " محل المصطلحات السابقة جميعا ، لان التنمية تشمل عمليات التحضر والتمدّين والتصنيع والتحديث • ويستخدم مصطلح " التنمية " بصورة خاصة ليصف حركة البلدان الاقل تطورا او تقدما وهي تسعى للحاق بركب البلدان المتقدمة •

كانت تلك العمليات السابقة ــ بتقدير المعظم الباحثين ــ وراء الانخفاض الملحوظ في مستويات الخصوبة الانسانية لدى البلدان المتقدمة • اذ تؤكد معظم النظريات تقريب على وجود علاقة عكسية ، على المدى الطويل الاجل ، بين الخصوبة من جهة والمستويات المتقدمة من التحضر والتمدين والتحديث والتنمية من جهة اخرى •

لقد كان الحديث في السابق يدور حول " الإنسان المتحضر او المتمدّين " الذى فشل في الزواج لانه لم يستطع الحصول على مايعتبره ضروريا ، او الذى ارجأ الزواج واخره الى حين اكتمال ونضوج ظروفه ، ثم انصب الاهتمام على " الانسان العصرى " الذى نما لديه الحس التخطيطي والتبصر بالمستقبل ، ونجح في تجاوز الروح الاستسلامية وتغلب على النزعة الجبرية التقليدية ، مدفوعا في كل ذلك بنزعة عقلانية توازن بين الامور وتجعله ينظم خصوبته ويتحكم بسلوكه الانجابي بتأخير الزواج او باستخدام محددات النسل المختلفة ، بما يمكنه من ضمان مستوى المعيشة المناسب له ولاطفاله من بعده ، وبما يحفظ له البقاء في مرتبته الاجتماعية او الصعود الى اعلى منها • ولا شك ان هذا المنحى في التفكير كان وليد النظرية السوسيولوجية في تعاملها مع مشكلات المجتمع الحديث ، وهو المنحى الذى اوجد روحا متفائلا بدل الافق الاسود المتشائم ، الذى يتطلب انفراجة حدوث كوارث مدمرة والذى جاءت به النظرية المالتوسية •

ولكن العلاقة بين الخصوبة والعمليات السابقة (اعني التحضر والتمدين والتصنيع والتحديث والتنمية) ليست بالعلاقة البسيطة او المباشرة • فقد تنشأ علاقة طردية بين هذين الطرفين ، اذ يلاحظ وجود ارتفاع في مستويات الخصوبة ابان المراحل الاولى من تلك العمليات • لذلك اضحى السؤال الهام هو : ماهي عناصر تلك العمليات التي من شأنها تخفيض مستويات الخصوبة ؟ وما هي المستوى المطلوب من التحديث والتنمية الذى تبدأ عنده مستويات الخصوبة بالانخفاض ؟

وفي سعي النظريات للاجابة عن اسئلة من هذا النوع اصبحت تتحدث عن عتبات التنمية والتحديث ، كما شاع الحديث عن مراحل التقدم الحضارى والمجتمعي التي يختلف عمل محددات الخصوبة باختلافها ، وعن الاقنية التي تمارس من خلالها عمليات التنمية والتحديث تأثيرها على الخصوبة الانسانية • تتمثل هذه الاقنية على المستوى المجتمعي بالمدينة والمعمل والمدرسة ، وهي الاقنية الاساسية لعملية التنشئة الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة التي تمارس تأثيرها على الفرد ، فكل من هذه الاقنية الثلاث ، اضافة الى وسائط الاتصال الجماهيرى المعروفة (اذاعة ، تلفزيون ، كتب وصحافة ، •• الخ) ، يزود الفرد مباشرة بمعلومات جديدة وخبرات هامة يكون لها في النهاية (اى بصورة غير مباشرة) الاثر الخافض على الخصوبة الانسانية ولذلك يعتبر التعليم ومكان الاقامة والمهنة التي يمارسها المستجيب من المتغيرات الاجتماعية الاساسية التي يتوجب على كل نظرية جادة ترمي الى الكشف عن العوامل التي تؤثر في الفعل الانجابي للانسان ، ان تأخذها بعين الاعتبار •

وسنعرض فيما تبقى من هذا الفصل الى الاطر العامة للنظرية الاجتماعية ، فنبين كيف ان نظريات الخصوبة لا تكاد تتعدى حدود هذه الإطر • وسنحاول عبر ذلك البرهنة على قصور وتعثر جميع نظريات الخصوبة التي آثرت البقاء ضمن حدود اطار واحد فحسب قاطعة الاسباب والعلائق مع النظرية الاجتماعية التي يشمل ميدانها جميع الاطر التي نتحدث عنها • اننا نبحث في اتجاهات التنظير الرئيسة للخصوبة ، ونحاول الكشف عن المحددات الاساسية للخصوبة •

٧٧٧٧٧